جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة –

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

السنة الجامعية 2023-2024

مقياس: المؤسسة العسكرية البرية والبحرية **د/ فهيمة عمريوي**

السنة الأولى ماستر

المحاضرة التاسعة: دور طائفة الرياس في الجزائر خلال الفترة العثمانية.

- على المستوى الداخلي: تتمثل فيما يلي

-أدت طائفة الرياس دورا متميزا على المستوى الداخلي حيث سيطروا على الجانب السياسي فبرز البايلربايات من الرياس مثل خير الدين بربروس، وعلج علي وصالح رايس هذا الأخير الذي تمكن أثناء فترة حكمه (1552-1556) من الوصول إلى المناطق الجنوبية منها تقرت التي كانت في يدي بني جلاب وورقلة وبسكرة ووقع اتفاقيات مع شيوخ القبائل التي تحكم هذه المناطق. وبالتالي توسيع نفوذ السلطة المركزية.كما تمكن من ضم تلمسان نهائيا إلى الحكم المركزي بالجزائر سنة 1554.

-كان للرياس دورا بارزا في بداية عهد الدايات حيث أل الحكم إلى طائفة الرياس وحكم أول داي وهو الرايس محمد التريكي من 1671 إلى 1683م وهي مدة تقارب عهد الأغوات بأكمله. ثم خلفه صهره بابا حسن من سنة إلى وأيضا الداي حسين ميزومورطو من إلى سنة 1688م.

- حراسة الشواطئ الجزائرية والدفاع عنها وعن المسلمين.

-حققت طائفة الرياس نوع من الاستقرار الاجتماعي إذ خففت من أعباء الضرائب المفروضة على السكان المدن والأرياف على اعتبار أن زيادة مصادر الدخل البحري تؤدي إلى عدم الزيادة في قيمة الضرائب المفروضة على السكان وبالتالي التقليل من حدة التمردات والتورات.كما كانت مصدرا مهما من مصادر الدخل حيث كانت الخزينة العامة. وكان لهم دور بارز في الديوان إذ لا يمكن للشخص أن يكون عضوا في هذه الهيئة إلا توفرت فيه عدة شروط منها أن يكون قد عمل في الجيوش البرية والبحرية.

- على المستوى الخارجي:

تمكنت طائفة الرياس بمساعدة الجيش الانكشاري في البر من صد العديد من الحملات الخارجيةنذكر منها:

- حملة دون دييقو دي مونكادDon Diego Hugo de Moncade:

وجهت إسبانيا سنة 1518 حملة لاحتلال مدينة الجزائر بقيادة دون دييقو دي مونكاد تضم 30 سفينة و 8 سفن حربية وبعض القوارب، أما جيش خير الدين بربروسة فكان مكون من 5 إلى 6 آلاف رجل فقط، وكانت الخطة تقتضي بانقسام الجيش الإسباني إلى قسمين : الأول يهاجم المدينة من منطقة كدية الصابون والآخر من جهة الجنوب، بينما اصطفت القوارب الحربية في صف واحد أمام المدينة وبذلك أصبحت محاصرة برا وبحرا غير أن القائدان دون دييقو دي مونكادوكوترا الفودو ريبيرالم يتفقا على موعد الهجوم وهو ما أتاح الفرصة لخير الدين من أجل إتمام تحضيراته ورسم خطة لمواجهة الجيش الإسباني فقسم جيشه إلى ثلاثة أقسام تاركا 300 تركي و 300 مغربي داخل المدينة لحمايتها، وكان السباق لمهاجمة الإسبان في مواقعهم وتحصيناتهم، وأثناء المعركة شهدت المدينة رياحاً عنيفة أضعفت قدرة الإسبان على المقاومة ولم ينجوا منهم سوى ثلث الجيش كما تمكن خير الدين وأنصاره من أسر 3036 من المسيحيين.

- تحرير حصن البينون :

البنيون هي قلعة شيدها قائد أسطول البحر المتوسط دبيكودي فيرا سنة 1510 بتكليف من بيدرونفارو قائد الأسطول الإسباني، وقد خصصت نفقات كبيرة لبنائها على أحد أهم الجزر المقابلة للمدينة، وأصبحت تعرف بالبينون نسبة إلى الصخور الصلبة التي بنيت عليها، وفي سنة 1529 تمكن خير الدين بربروس من تحريرها من أيدي الإسبان بعد قصفا دام 20 يوما ثم دخلها بقوة تضم خمسة وأربعين سفينة وأسر على إثرها قائد الحصن مارتن دي فرج Martine de verge.

-حملة شارلكان :

بعد استيلاء شارلكان على تونس سنة 1535 قرر إعداد حملة أخرى للإستلاء على الجزائر والقضاء على الوجود العثماني في حوض البحر المتوسط، وقد كان جيش شارلكان خليطا من مختلف الدول الأوروبية حيث شاركت فيه كل من إسبانيا وإيطاليا وألمانيا وبلغ عدد الجيش حوالي 24000 رجل وألفي فرس، أما الأسطول فقد اشتمل على 450 سفينة نقل و 65 سفينة حربية كبيرة.

أما الجزائريين فقد تجمعت كلمتهم وراء أحسن آغا الذي فتح خزائن السلاح ووزعه على أهل المدينة مع ما هو متوفر من البرود والرصاص، كما أمر بنصب المدافع على المترس الموالي للمدينة بكدية الصابون، وإضافة إلى هذه التجهيزات نزلت أمطارا غزيرة أثناء المواجهة متبوعة بهبوب رياح قوية

ألحقت بجيش شارلكان أكبر هزيمة بحرية وحربية. وهو ما عبر عنه الأندلسيين في الرسالة التي بعثوا بها إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541 فبعد الإشارة إلى أوضاعهم ودعوة السلطان العثماني لإنقاذهم تعرضوا لهزيمة شارلكان بقولهم "..... واتفق رأيهم المعكوس وتدبيرهم المنكوس على قتال الجزائر لئلا يبقى ببلاد المغرب لأهل الإسلام ناصر فعاقبهم الله بعقاب أصحاب الفيل وجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم ريحا عاصفا وموج قاصف فجعلهم في سواحل البحر بين أسير وقتيل وما نجا منهم من الغرق إلى قليل. ووصف صاحب الغزوات هذا الانتصار بقوله **وبذلك أصبحت الجزائر كالعروس العذراء تختال في حليها وحليها من رخاء الأسعار وأمان الأقطار ولم يبق لهم عدو يخافون منه وشاعت هذه القضية في مشارق الأرض ومغاربها**.وعموما فقد بلغ عدد الغارات الجزائرية في الفترة ما بين 1528- 1584 حوالي 33 غارة.

- حملة الكونت أوريليOreilly

رأت إسبانيا أنه من الضروري تدمير مدينة الجزائر ووضع حدا لنشاطها البحري وفي سنة 1775 شنت حملة على الجزائر أسندت قيادتها للكونت أوريلي. وقد إتخذ الملك شارل الخامس كل الاحتياطات اللازمة لتوجيه حملة ضد الجزائر في إطار السرية التامة فكانت تتكون من ست سفن كبيرة وأربعة وعشرين ألف مدفع مزود بقذائف، إضافة إلى ثلاثمائة وأربعة وأربعون قاربا على متنه 22600 مقاتل وهو ما جعل إسبانيا تتوقع انتصارا حاسما في المعركة.

ومن جهته اتخذ الداي محمد عثمان باشا جملة من التحضيرات لصد الحملة الإسبانية بحيث تجمع أكثر من 150 ألف مقاتل في مختلف النقاط، وقد قدم باي الشرق " صالح باي " بقوة تعدادها 40 ألف فارس تجمعت عند رأس ماتيفو وفي منطقة متيجة تمركزت قوات باي التيطري البالغ عددها 40 ألف فارس أيضا، كما قسم محمد بن عثمان باشا الجيش إلى ثلاثة أقسام وعين على كل قسم قائد، فالقسم الأول تمركز عند باب عزون بقوة تقدر بستة آلاف تركي بقيادة آغا الصبايجية، أما القسم الثاني فتموقع بباب الوادي بقوة بلغت ألفين كولوغلي تحت قيادة الخزناجي، كما تمركزت قوة وكيل الحرج عند رصيف الميناء بحوالي 3 آلاف مقاتل من البحرية إضافة إلى قوة من فرق زواوة بحوالي ألفين مقاتل، كما قام الداي بنقل الأسرى إلى المدية ووضعهم تحت الحراسة تفاديا لأية محاولة للتمرد أو الهروب.

وعند وصول الإسبان إلى الجزائر رسو عند مصب وادي الحراش وأنزلوا به حوالي 20 ألف جندي وشرعوا في بناء عدة تحصينات، ورغم أن القذائف هاجمتهم من كل ناحية إلا أنهم لم يتأثروا إلا من جهة الغرب نظرا لقوة تحصيناتهم، وفي اليوم الرابع من بداية المعركة قدم صالح باي من ناحية

باب الوادي. فرسم خطة للقضاء على الجيش الإسباني تمثلت في جمع الإبل الموجودة في المعسكر واستخدامها كدرع يحتمي به الجنود ليتبعها بعد ذلك الجيش إلى مراكز الإسبان لكن هذه المحاولة باءت بالفشل بعد اصطدامها بالتحصينات الإسبانية، وفي اليوم الذي استأنفت فيه الجزائر القتال قدم سحاب من الناحية الجنوبية محدثا زوبعة فوق معسكر الإسبان فاستحال عليهم رؤية ما يجري قرب الساحل وهنا اشتدت المعركة بين الطرفين الأمر الذي جعل الجيش الإسباني ينسحب من المعركة راجعا إلى نقطة النزول

خلقت هذه الحملة نتائج مادية وبشرية على الطرفين وأكثرها تأثيرا كانت من الجانب الإسباني فقد تركو أثناء انسحابهم ما يقارب 16 مدفعا من النحاس وقطعتين من رميات القذائف، إضافة إلى الآلات الحربية وأربعين ألف قذيفة. أما من الجانب الجزائري فقد قتل ما يقارب مائتا مقاتلولقد ذكر الحاج أحمد الشريف الزهار الخسائر التي لحقت بالجيش الإسباني بقولة "....وأخذ المسلمون ما تركت " إسبانيا " في المتارز: نحو مائة مدفع وجميع آلات الحرب واستغنى الناس في ذلك اليوم مما جمعوه من أثاث ودراهم....أما رؤوس النصارى فلما كثرت وضاقت بها الأرض ...أمر الداي بإخراجها إلى باب الواد واستمر يعطي الناس ثمن الرؤوس ذلك اليوم كله.....

حملة دون أنطونيو برسلو Don Antonio Barcelo :

شنت إسبانيا سنة 1783م حملة ثانية على الجزائر كرد فعل منها لحصار وهران من طرف الباي محمد الكبير والثأر للهزيمة التي لحقت بها إثر حملة الكونت أوريلي، وكانت الخطة الإسبانية تقضي بمهاجمة الجزائر عن طريق عمارة بحرية قوية بهدف تحطيم السفن الموجودة بالمرسى وتدمير حصون وقلاع المدينة مع فرض شروطها على الجزائر.

ولقد أعطى القنصل الفرنسي " دي كارسي تقريرا دقيقا ومفصلا عن عدد القوات الإسبانية حيث كانت تتكون من أربع سفن كبيرة وست قذائف وإثنا عشر شباك وعشرة قوارب إضافة إلى أربعين زورق مسلحا بالمدافع والقذائف.

وبعد وصول خبر توجيه حملة إسبانية على الجزائر، اتخذ الداي محمد بن عثمان باشا عدة احتياطات فأمر بتجمع أكبر عدد ممكن من الجنود في مدينة الجزائر فكانت قوة صالح باي مكونة من 25 ألف جندي وبين معسكر حوالي 20000 جندي أما باي التيطري فقد بلغت قواته حوالي 5000 جندي، كما أمر بنقل 1548 منالعبيد إلى مدينة المدية. وكانت القوات الجزائرية مزودة بعدة آلات حربية منها مقنبلتين كل واحدة منها مسلحة بمدفع ومدفع مهراس، وحفنين صغيرين و 6 غليوطات

وسفينتين للحراسة إضافة إلى ثلاث مراكب كل واحد منها مزود بمدفع عيار و 9 قوارب كل واحد منها مسلح بمدفع عيار صغير.

وفي 13 جويلية 1783 انطلقت الحملة من قرطاجنة بقيادة "دون أنطونيو برسلو" لكن سوء أحوال الطقس أخرت قدوم الجيش الإسباني حتى 29 جويلية 1783، وبدأت المعركة في الفاتح من شهر أوت واستمرت لمدة 9 أيام دون إنقطاع حتى انتهاء المؤونة، وبلغ عدد الطلقات الإسبانية ما يقارب 3752 قنبلة و 3833 طلفة مدفع، وأمام اشتداد المعركة في الرابع والسادس والسابع من شهر أوت خرج الرياس إلى البحر وقادوا المعركة بشجاعة، فكان أول هجوم في الفاتح من أوت على الساعة الثالثة زوالا ودام ساعة وربع، وفي الثاني من شهر أوت قصفت المدينة للمرة الثانية على الساعة الثانية عشر، وفي 4 أوت قصفت للمرة الثالثة على الساعة السادسة مساءا. وأقوى قصف تعرضت له هو الثاني والثالث مع اشتداد أكثر في المرة الخامسة. ورغم ذلك فقد قاومت الجزائر الحملة حيث ذكر دي قرامون ما نصه

Les Algériens aient toujours tiré plus longtemps commençant les premiers et finissant les derniers".

وقد استعمل الإسبان في هذه الحرب زوارق مزودة بمدافع كانت سببا في إحداث خسائر بالمدينة، بعدها اقترح محمد القبطان بتعمير زوارق من نفس النوع ووافق الباشا على هذا القرار، وقام القبطان بملىء الزوارق بالمدافع في الليل وفي الصباح استأنف الاسبان القتال فقابله الجزائريون بالمثل وبعد معركة شديدة ثم الانسحاب الإسباني من الجزائر.

وقدأحدثت هذه الحملة خسائر بالنسبة للطرفين وكانت أكثر ضخامة على الجزائر حيث تعرض قصر الجنينة لقذف بالقنابل مما جعل الداي يغير مكان إقامته وينتقل إلى القصبة الموجودة في أعلى المدينة، وخلال هذا الهجوم تهدم أكثر من 400 منزل إضافة إلى عدد من المحلات والمساجد والقلاع، كما أحرقت قنصلية كل من السويد وفرنسا، ودمرت هذه القذائف ما يقارب ثمانية منازل للفرنسيين من مجموع اثنا عشرة منزلا، أما البحرية فلم تتأثر كثيرا بذلك القصف.

وتجدر الإشارة إلى أن الدول الأوروبية سعت بعد فشل حملاتها إلى عقد معاهدات سلم مع الجزائر لضمان حرية تنقلها والحفاظ على نشاطها التجاري وقد نصت جميع المعاهدات على وجوب دفع الإتاوات للجزائر وهو ما أثرى الخزينة.

وساهمت الجزائر بشكل بارز في مساعدة الدولة العثمانية وتمثلت مظاهرها في جانبين هما تحديث الأسطول العثماني والمساهمة بأسطولها في الحروب العثمانية. ففي المجال الأول نجد أن السلطان العثماني سليمان القانوني لجأ إلى خدمات خير الدين باربباروس لما استدعاه سنة 1553 إذ

غادر الجزائر رفقة 17 راس و18 سفينة حيث تعينه أميرالا للأسطول العثماني وبالتالي ساهم في تعزيزه بالخبرة والعتاد. وهكذا صار السلاطين العثمانين بحاجة إلى رياس بحر جزائريين للاستفادة من خبراتهم، حيث لجأ السلطان سليم الثالث بعد نكبة ليبانتLepante سنة 1571م إلى خدمات علج علي وكلفه بتجديد الأسطول الذي تعرض لخسائر كبيرة وفي ظرف سنة واحدة تمكن من تجديد الأسطول وتعزيزه بـ 208 سفينة جديدة. وأسندت إليه أيضا مهمة قيادة الأسطول العثماني من 1571-1587.

أما بالنسبة للمجال الثاني وهو المشاركة إلى جانب الدولة العثمانية في حروبها فتمثل في مشاركة الأسطول الجزائري في معركة برفوزة ومعركة ليبانت وحرب اليونان كما ساهمت في حصار مالطا سنة 1565، ونجدة فرنسا 1542-1543، وفتح تونس 1574 وبذلك أصبحت ثاني منطقة في شمال إفريقيا تنظم للباب العالي.

وصفو القول أن المؤسسة العسكرية البرية والبحرية أدت دورا هاما في حفظ الأمن في البلاد وصد الحملات الأجنبية عموما والإسبانية على وجه الخصوص مما جعل جل الكتابات الغربية تصف عناصر الجيش وطائفة الرياس بأبشع الصفات باعتبارها كانت حصنا منيعا حال دون تحقيق توسعاتها بالمنطقة لأزيد من ثلاث قرون من 1516 إلى 1830 وهو ما أكسبها مكانة دولية وهيبة عالمية في تلك الفترة .

وتجدر الإشارة إلى أن الدول الأوروبية سعت بعد فشل حملاتها إلى عقد معاهدات سلم مع الجزائر لضمان حرية تنقلها والحفاظ على نشاطها التجاري وقد نصت جميع المعاهدات على وجوب دفع الإتاوات للجزائر وهو ما أثرى الخزينة.

نهاية البحرية الجزائرية

مع بداية القرن الثامن عشر بدأت البحرية الجزائرية في التراجع ثم عرفت مرحلة من الضعف امتدت من سنة 1792م إلى غاية 1830م، اشتداد الحملات على الجزائر وأيضا بسبب ظهور النّهضة الأوربيّة، وتطوير كلّ أدوات الملاحة، وأصبح يتحكّم في البحر المتوسّط الأسطول الهولندي والبريطاني والفرنسي، غير أنّ الأسطول الجزائري لم يطوّر أدواته الحربية وبقي يعتمد على الطرق التّقليديّة. التكتل الأوروبي ضد الجزائر حيث تجاوزت الدول الأوروبية أحقادها الداخلية.

إضافة إلى هذا الضعف تكتلت الدول الأوروبية من أجل القضاء على عدو مشترك هو الجزائر وظهر هذا في مؤتمر فينا 1814-1815 الذي تزعمته انجلترامثلة في الأميرال "سدناي سميث" (Sidney Smith)، الذي أعد مذكرة حررها بلندن في 31 أوت من سنة 1814 وعنوانها " مذكرة حول ضرورة اتخاذ الوسائل اللازمة لإيقاف قرصنة دول شمال إفريقيا" « Mémoire sur la nécessité et les

« moyens de faire cesser les pirateries des Etats Barbaresques فقد ارتكز مضمونها بشكل خاص على الجزائر، وقد شملت ثلاث نقاط تمثلت في تحريض الأوروبيين ضد الجزائر على أساس أن الجزائر سبب المشاكل التي يلاقيها الأوروبيين على ساحلها أو داخل أراضيها، ونصت النقطة الثانية على ضرورة تحالف بحري للدول الأوروبية لمواجهة قراصنة شمال إفريقيا واقترح أن تسند القيادة إليه، أما النقطة الثالثة فنصت على تحميل الباب العالي مسؤولية الأعمال التي يقوم بها رعاياه في شمال إفريقيا إذا استمر في تمويل الإيالات الثلاث بالمتطوعين خاصة الجزائر، مع تحميله المسؤولية في حالة استمرارهم في عمليات القرصنة، ثم جاء مؤتمر اكسلا شابيل عام 1818 وقد رفض الداي حسين وصايا المؤتمر الفروضة على الجزائر، ثم جلسات لندن عام 1819،هذا وقد كانت أفكار سدناي سميث منطلقا لظهور أفكار أخرى في فرنسا للقضاء على الجزائر منها مذكرة وزير خارجيتها دومانكو دي بايا في 22 أكتوبر 1815 بعنوان مذكرة حول احتلال إفريقيا ومن أهم ما جاء فيها أن إفريقيا مستعمرة طبيعية لأوروبا، وأن المستعمرات الإفريقية هي أفضل من المستعمرات الأمريكية لفرنساتلاه الحصار الفرنسي على الجزائر الذي خنق البحرية الجزائرية بشكل كبير ثم الاحتلال في 5 جويلية سنة 1830.